

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة

الدكتور أحمد بن سالم المنظري

مدير منظمة الصحة العالمية

لإقليم شرق المتوسط

أمام

الدورة السادسة والستين للجنة الإقليمية لمنظمة الصحة العالمية لشرق

المتوسط، طهران، جمهورية إيران الإسلامية

14-17 تشرين الأول/أكتوبر 2019

فخامة الرئيس الدكتور حسن روحاني، رئيس جمهورية إيران الإسلامية،
أصحاب المعالي، وأصحاب السعادة أعضاء اللجنة الإقليمية،
أخي العزيز تيدروس أدهانوم، المدير العام لمنظمة الصحة العالمية،
السادة رؤساء البعثات الدبلوماسية،
الأفاضل ممثلو الهيئات الأممية والمنظمات المجتمعية،
إخواني وأخواتي الحضور،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}. صدق
الله العظيم.

يسعدني بدايةً أن أتقدّم بعظيم الشكر والتقدير لفخامتكم أخي الرئيس حسن روحاني، ولجمهورية إيران الإسلامية شعباً وقياداً، على كريم ضيافتكم لهذه الدورة السادسة والستين للجنة الإقليمية لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، وذلك في ربوع مدينة طهران الجميلة ببريقها الحضاري وروحها العصرية في جمهورية إيران الإسلامية المتميّزة بأصالة شعبيها المضياف. طهران، هذه المدينة التي قدّمت لنا الدعم، وهيأت لنا الظروف، حتى تُؤتي هذه الدورة ثمارها.

السيدات والسادة،

مضى عامٌ كاملٌ على لقائنا السابق في مدينة الخرطوم، مضى بذكرياته الطيبة وقراراته المهمة التي اتُّخذت خدمةً للإقليم، وما تلا ذلك من تحدياتٍ رافقت عملنا فيه، صاحبته بعضُ الفرص لتعلّم الدروس والعبر، لكنه أيضاً كان عاماً حافلاً بالعمل والإنجاز، ساهم في زيادة رصيدنا المعرفي وصقل مهارتنا وخبرتنا في التصدي لتلك التحديات، وأثبت أن رؤيتنا في الإقليم "الصحة للجميع وبالجميع 2023" التي باركتموها حينها، كانت متسقةً تماماً مع ما نرغب في الوصول إليه بإذن الله.

أصحاب المعالي، أصحاب السعادة، إخواني وأخواتي الحضور،

يكتسب اجتماعنا السنويُّ هذا أهميةً كبرى، فهو محطةٌ نستعرض فيها معاً ما شهده إقليمنا من تطوراتٍ وإنجازاتٍ صحيةٍ خلال العام، وهو فرصةٌ لتبادل التجارب الناجحة وترسيخ أواصر التعاون وفتح آفاق أوسع للعمل داخل الإقليم وخارجه، وهو فرصة كذلك لنؤكد مجدداً أن الصحة كانت -وستبقى دائماً- حقاً للجميع لأننا على يقين أن الصحة مطلبٌ أساسي للتطور، وليست ناتجةً عنه، وأنه سيترتب على توفيرها آثارٌ إيجابيةٌ عظيمةٌ على إنتاجية أفراد المجتمع ورفع مستوياتهم التعليمية والمعيشية. وهذا ما يؤكده المهتمون بالقطاع الصحي في المحافل الدولية، فقد تشرّفت مؤخراً بحضور اجتماع الأمم المتحدة الأول الرفيع المستوى بشأن التغطية الصحية الشاملة، الذي أسفر عن اعتماد إعلانٍ سياسي بهذا الشأن، وكُننا أملٌ في أن يكون هذا الإعلان حافزاً لنا جميعاً كي نواصل التزامنا بتحقيق التغطية الصحية الشاملة في بلدان إقليمنا.

أصحاب المعالي، أصحاب السعادة، الإخوة والأخوات،

إننا نعيش في إقليم غني بتاريخه وحضارته وتراثه، وغني كذلك بموقعه الجغرافي ومناخه وثرواته الطبيعية والبشرية، لكننا بكل أسفٍ نشهدُ تردّياً شديداً في الحالة الصحية لسكانه، بسبب النزاعات، والكوارث الطبيعية، والأوبئة، والاضطرابات السياسية وما يترتب عنها من أثر سلبي على مستوى تقديم الخدمات الصحية وتوافرها في بعض بلدان الإقليم. فأتثناء زيارتي لعشرين بلداً من بلدان الإقليم، ذهبتُ إلى الكثير من المرافق الصحية، وشاهدتُ حالاتٍ لا يمكن وصفها بأقل من

كونها كارثية. ففي أثناء زيارتي لأحد بلدان الإقليم وجدت ثلاثة أطفال رُضِعَ يتشاركون سريراً واحداً في قسم الطوارئ أياماً عدّة انتظاراً لتنويمهم. وفي بلدٍ آخر، وجدت رجلاً بلغ الخمسين من عُمره يَلْفِظُ أنفاسه الأخيرة في قسم الطوارئ لعدم وجود العلاج اللازم لإنقاذه. ووجدت رجلاً آخر يرقُدُ بجانبه وأبناؤه يتناوبون منذ أيامٍ لضخّ الهواء في رئتيه لعدم وجود سَيرٍ متاح في العناية المركّزة. والتقيتُ طفلاً ذا أربع سنواتٍ تسير به أمّه خمسَ ساعاتٍ بالسيارة كلّ أسبوعين لإعطائه جرعة العلاج الكيماوي الذي تتحمّلُ الأسرة كلّ تكاليفه. كذلك رأيتُ شاباً في الثلاثين من عُمره يعاني من الفشل الكلوي وهو يحتضرُ أثناء عملية غسيلٍ للكلّي لم تُكلّل بالنجاح. وشاهدتُ في بلدٍ آخر طفلاً وحيداً والديه وقد أُصيب بمرضٍ لم يعد موجوداً إلّا في إقليمنا، وهو مرضُ شلل الأطفال. وحملتُ بين يديّ هاتين طفلًا عمُرُهُ عَشْرَةُ أشهرٍ فقط مصاباً بالإيدز، رغم أن والديه غيرُ مصابيّين به. وفي أحدِ البلدان، حملتُ طفلةً عمُرُها أربع سنواتٍ تبدو وكأنَّ عمُرُها لا يتجاوز ستّة أشهرٍ، وذلك بسبب سوء التغذية. وفي بلدٍ آخر صادفتُ طفلةً عمُرُها ستُّ سنواتٍ تبدو وكأنها ابنةٌ مئة عامٍ، وذلك بسبب سوء التغذية أيضاً. وشاهدتُ في إحدى الزياراتِ أمّاً لثلاثة أطفالٍ متقاربين في العمر، أصغرهم ما زال رضيعاً، وهي نفسها تعاني من سوء التغذية. والتقيتُ طبيباً يعملُ ليلَ نهارٍ في مركزِ علاج الكوليرا، وقد وصلني خبرُ وفاته بسبب هذا المرضِ بعدَ عدّة أيامٍ من تلك الزيارة.

أيها الإخوة والأخوات الأفاضل،

هذه الصورة القاتمة للوضع الصحي في إقليمنا لا تمنعنا من الوقوف بإجلالٍ وتقدير كبيرين للجهود التي تبذلها أطرافٌ كثيرة في مواجهة تلك الظروف. فقد قابلتُ في إحدى الزيارات طاقماً طبيّاً وقَفَ أفرادهُ ساعاتٍ طويلةً لإنهاء عملية جراحية مُعقّدة، تحتاجُ إلى أشدِّ درجاتِ الحرصِ والدقة، وقد خرج المريضُ منها سليماً معافٍ بفضلِ الله رغمَ الظروفِ الصعبة التي تمرُّ بها تلك المؤسسة من شحِّ المواردِ وقِلّةِ الإمكانيات. كذلك قابلتُ عاملينَ صحيينَ ساروا أميالاً على أقدامهم لتقديمِ التطعيماتِ اللازمة لمجموعةٍ من الأطفال في قريةٍ نائية، مُعرِّضين حياتهم لمخاطرٍ كثيرة. وحملتُ بين يديّ طفلةً ذات ثلاث سنواتٍ أتى بها والداها إلى مركزِ التغذيةِ العلاجية وهي تحتضرُ بسبب سوءِ التغذية، ولكن أصبحت، ولله الحمد، بعد ثلاثة أسابيع طفلةً ترتسمُ على وجهها ابتسامةٌ ترى أثرها على وجهِ والديها والعاملين الصحيين. وسُررتُ عندما التقيتُ طبيبةً نساءٍ متقاعدَةً تحضُرُ إلى المستشفى بانتظامٍ لتقديمِ المساعدةِ للطبي بسبب نقصِ الكوادر. وقابلتُ كذلك مجموعةً من الكفاءات الصحية الكبيرة من إقليمنا المبارك الذين تقاعدوا عن مناصبهم بعد أن أصبح لهم باعٌ طويلٌ كلٌّ في مجال تخصصه وقد أبوا إلّا أن يسخّروا خبراتهم ومؤهلاتهم في خدمة الإقليم وأهله، ضاربين المثلَ الحسنَ والقُدوةَ الصالحةَ لنا جميعاً في أداء الواجبِ الوطني والإنساني والأخلاقي. وقابلتُ أيضاً قياداتٍ صحيةً في عددٍ من المستشفيات ومراكز الرعاية الصحية الأولية، ترى فيهم رُوحَ التفاؤلِ والرضى، رغمَ الزحامِ الشديد على تلك المؤسسات ليلاً ونهاراً، ورغم شحِّ

الإمكانات المادية والبشرية، وأطلعت على تجارب يُشار إليها بالبَنان في المشاركة المجتمعية في مجال الخدمات الصحية، وإشراك جميع أطراف المجتمع -أفراداً ومؤسسات- فوجدتها ترجمةً حقيقيةً لرؤية (الصحة للجميع وبالجميع) في إقليمنا. كذلك أطلعت على مشاريع تُنفذُ بفكرٍ خلاقٍ إبداعيٍّ، يساعد على توفير الوقت والجهد والمال.

نحن إذاً -أيها الإخوة والأخوات- أمام نماذجٍ يُمكنُ بالفعل أن تُغيّرَ الواقعَ المؤلمَ للصحة في إقليمنا، وأن تهزَمَ كلَّ العواملِ السلبيةِ والتحدياتِ والصعوباتِ التي نواجهها. نحن جميعاً، ومعاً، يمكن أن نفعَلَ الكثير، وأن نضعَ حداً لتقهقر الوضع الصحيِّ والحالة الصحية لسكان الإقليم. فمِنذُ أيامٍ فقط، أعلنت لجنةُ التحقُّقِ الإقليميةُ المعنية بالقضاء على الحصبة والحصبة الألمانية في إقليم شرق المتوسط عن خُلُوِّ جمهوريةِ إيرانِ الإسلاميةِ من الحصبة بعد أن أعلنت في مايو 2019 عن خُلُوِّ كلِّ من البحرين وعمان من الحصبة والحصبة الألمانية. وهذه الإنجازاتُ العظيمةُ خيرُ دليلٍ على أننا فعلاً نستطيع أن نحققَ الكثير. وأود بهذه المناسبة أن أتوجَّهَ بالتهنئة إلى كل هذه البلدانِ حكومةً وشعباً، وأن أشكرَ كلَّ مَنْ ساهم في تحقيق هذه الإنجازاتِ الرائعة.

وقد بدأنا في المنظمة العملَ بجدٍ وعزيمةٍ بهذه الروح الإيجابية، وحددنا رؤيتنا بوضوحٍ لما نريد أن يكونَ عليه إقليمنا في 2023 بإذن الله، ويسعدنا جداً أنكم باركتكم هذه الرؤية في الدورة الماضية، وشجعتمونا على بذل المزيد، وقد بذلنا المزيدَ فعلاً. وسنقدِّمُ لكم في هذه الدورة الخطوةَ اللاحقة، وهي الاستراتيجيةُ الإقليمية 2020-2023 التي طوَرناها بالتعاون معكم جميعاً ومع جميع الشركاء، والتي نأملُ بها أن نفعَلَ ما قُلناه، وأن نُطبِّقَ ما دَعَوْنَا إليه.

وقد حدَّدنا في هذه الاستراتيجية الإقليمية أهمَّ الأهدافِ الاستراتيجيةِ التي ننوي العملَ على تحقيقها في كلِّ أولويةٍ من أولوياتِ رؤيةِ الإقليم 2023، وحددنا فيها كذلك التوجُّهاتِ التي يمكن أن نَتَّبِعَها لتحقيقِ كلِّ هدفٍ استراتيجيٍّ، وحرَّصنا بشدَّةٍ على أن تتضمنَ هذه الاستراتيجيةُ آليَّةً واضحةً لمعرفةِ النتائجِ المحقَّقة، ولقياسِ الأثرِ الناجمِ عن تلك التداخلات. وفي هذا الصدد، أودُّ أن أوكِّدَ لكم أننا نعملُ بكلِّ جدٍّ ومثابرةٍ من أجل التنفيذِ الخلاقِ لمعظم المبادراتِ العشرِ التي حدِّدت للتفنيذِ الفوري وفقاً لرؤيةِ الإقليم في الاثني عشرَ شهراً الأولى.

أيها الإخوة والأخوات الكرام،

إن علينا واجباً أخلاقياً ومهنياً وإنسانياً ودينياً، مصداقاً لقولِ رسولنا الكريم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنَيانِ المرصوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُمُ بَعْضاً». وقوله كذلك: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى».

أو كما قال شاعرُ الإنسانيةِ أو مَلِكُ الكلامِ، كما يُطَلَقُ عليه هنا في إيران، سَعْدِي الشَّيرَازِي في أبياتِهِ المشهُورَةِ:

الناسُ كالأعضاءِ في التسانُدِ لِخَلْقِهِمْ مِنْ كُنْهِ طِينٍ وَاحِدِ
إذا اشْتَكَى عَضُوٌّ تَدَاعَى لِلسَّهْرِ بَقِيَّةُ الأَعْضَاءِ حَتَّى يَسْتَقِرُّ

لذلك وَجَبَ علينا التكتافُ والتأزُّرُ والعملُ المشتركُ لخدمة هذا الإقليمِ، وتمكينِهِ من تحقيقِ أهدافِهِ الصحيةِ، وإقامةِ النظمِ الصحيةِ التي تُمكنُ كلَّ مواطنٍ من الحصولِ على حقوقِهِ الصحيةِ كاملةً دونَ تمييزٍ أو تقصيرٍ أو أعباءٍ ماليةٍ.

ونحنُ نأملُ في أن تُسهمَ هذه الدورةُ في تحقيقِ هذا التلاحُمِ والإخاءِ والتضامُنِ لكي نَمُضِيَ قُدماً في سبيلِ تحسينِ الوضعِ الصحيِّ لبلدانِ الإقليمِ. وقد شَهِدَ يومُ أمسٍ مناقشاتٍ تقنيةً مهمةً، وستكونُ الأيامُ المقبلةُ حافلةً بالكثيرِ من الاجتماعاتِ الجانبيةِ والنقاشاتِ والفعالياتِ التي ستتناولُ الكثيرَ من القضايا الصحيةِ البالغةِ الأهميةِ.

وقد سَعَيْنَا إلى أن نُخرِجَ هذه الدورةَ في حُلَّةٍ جديدةٍ، بأفكارٍ حديثة: فتوسَّعْنَا في استعمالِ الفيديوهاَتِ في مختلفِ مجرياتِ الدورةِ، وكذلك قَرَّرْنَا -حرصاً منا على المحافظةِ على البيئَةِ- أن تكونَ هذه الدورةُ هي الأولى من دونِ ورقٍ، فسَعَيْنَا إلى إتاحةِ جميعِ الوثائقِ إلكترونيًا على مختلفِ المنصَّاتِ. ونظَّمْنَا أيضاً أولَ معرضٍ لأهمِّ قصصِ النجاحِ التي تحقَّقت في كلِّ بلدٍ من بلدانِ الإقليمِ.

أبها الإخوةُ والأخواتُ الأعزاءُ،

لا شكَّ أنكم ستلاحظون معي أهميةَ المواضيعِ المطروحةِ على جدولِ أعمالِ هذه الدورةِ وأثرها المباشرَ على عملنا الصحيِّ في الإقليمِ، ولذلك فإنني آملُ منكم جميعاً التفاعلَ معها، والمساهمةَ في إثراءِ النقاشِ حولها، للوصولِ إلى القراراتِ والتوصياتِ المناسبةِ، التي تُمكنُنَا من إحداثِ التغييرِ المطلوبِ في كلِّ بلدٍ من بلدانِ إقليمِنَا، وذلك تماشياً مع رؤيتنا "الصحة للجميع وبالجميع".

وفي الختامِ، لا يسعُنِي إلا أن أتقدَّمَ بجزيلِ الشكرِ والتقديرِ لجمهوريةِ إيرانِ الإسلاميةِ على حُسنِ الاستقبالِ وكرمِ الضيافةِ والعنايةِ الفائقةِ التي حصلنا عليها في كلِّ مراحلِ التحضيرِ والإعدادِ والتنفيذِ لهذه الدورةِ.

والشكرُ موصولٌ لجميعِ أعضاءِ اللجنةِ الإقليميةِ الفرعيةِ للبرامجِ وفريقِ العملِ في المكتبِ الإقليميِّ والمكتبِ القطريِّ للمنظمةِ في إيرانِ، الذين بذلوا جهوداً مُضنيَّةً للوصولِ إلى هذه اللحظةِ، لرُسمِ معاً الطريقِ لتنفيذِ مختلفِ البرامجِ الصحيةِ وتنفيذِ استراتيجيتنا الإقليميةِ، مؤكداً لكم

عزّمتنا - في منظمة الصحة العالمية بمستوياتها الثلاثة- على تقديم أقصى ما يمكن تقديمه من دعمٍ فنيٍّ وتقنيٍّ، كي نضمنَ تحقيقَ الهدفِ الثالثِ من أهدافِ التنميةِ المستدامةِ والأهدافِ الأخرى ذاتِ العلاقةِ بالصحةِ، وذلك بالتعاون مع مختلفِ المؤسساتِ الحكوميةِ والأهليةِ، وبالشراكة مع الهيئاتِ الأمميةِ، مُتمنّياً التوفيقَ للجميعِ لما فيه خيرٌ لهذا الإقليمِ وأهلهِ.

وما أجدُ في ختامِ كلمتي خيراً من قولِ الله عز وجل: {وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً}. إنكم في موقعٍ تخدمون فيه بلدانكم وشعوبكم وتخدمون الإنسانيةَ جمعاءَ بتحسينِ صحةِ أفرادِ المجتمعاتِ وإنقاذِ أرواحهم. فهنيئاً لكم هذا الشرفِ العظيم، وأسألُ الله أن يوفّقنا وإياكم إلى كلِّ خيرٍ.

وليكن شعارنا دائماً:

سَلَامَاتُ بَارُوي حَامِي - حَامِي بَارُوي سَلَامَاتُ

بَا سِبَّاسُ

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.